Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

[٥] ومع الإقرار بأن الطفولة تبدأ بميلاد الطفل ، فإننا نستبعد السنوات الثلاث الأولى ، والتى يكون عالم الطفل فيها محدوداً وضيقاً جداً ، وتكون الترانيم والأغانى للهدهدة والترقيص ، هى الأقرب إلى التأثير ، فى حين تكون القصص مقتضبة جداً ، لا تزيد عن جملتين أو ثلاث تحكيها الأم إبتداعاً يناسب اللحظة ، للتحذير أو الإغراء عادة ، ولا تؤدى اللغة دوراً يدخل فى نطاق دراستنا ، ولهذا نستبعد هذه المرحلة المبكرة .

أما مراحل الطفولة التى يعتد بها بالنسبة للقصص ، وما تستوجب من معرفة بطبائع وقدرات كل مرحلة، فإنها تنقسم أربعة مراحل :

المرحلة الأولى : عالم محدود ، وخيال حاد .

وتمتد ما بين السنة الثالثة إلى الخامسة ، وفيها يتميز الطفل بعالم محدود وخيال حاد . فعالمه المحدود يقوم على الإدراك الحسّى والتعرف المباشر على الأشياء والأشخاص ، ممن يتعامل معهم ، كالوالدين والأقارب وأطفال الجيران وبائع الحلوى ، وبائع اللعب ، واللبن إلخ . فضلا عن لعبه ذاتها ، وثيابه ، والحيوانات التى يشاهدها عن قرب و يألفها . إن الطفل فى هذه المرحلة المبكرة لا يستطيع إدراك المعانى المجردة ، كالكرم ، أو الحرية مثلا ، لكنه يمكن أن يعرف معنى الخوف من خلال ما يتعرض له . وستكون حدة الخيال تعويضاً أو إكمالاً لمحدودية المعرفة ، ففى هذا الحيز الضيق من العلاقات بالناس وبالأشياء يستطيع الطفل أن يرى فى العصا حصاناً يركبه ، وفى عصا أخرى ـ قد تشبه سابقتها ـ سيفاً يحارب به عدواً يراه ، وترى الطفلة فى دميتها اختاً أو إبنة أو صديقة تحبها وتسعى لراحتها ، أو تخاصمها أو تعاقبها . وقد ينسج الطفل أخباراً يختلقها ، و يدلى بأحداث لم تقع ، وقد يعاقبه « الكبار» على « كذبة » ولكنه لم يكن يدرك أنه يكذب ، إنه كان يمارس إحدى قدراته على الخلق والابتكار والتنظيم ، ويعبر عن حاجته إلى عالم بديل للواقع الذى يعيشه . ولهذا تدفعه هذه الحاجة نفسها إلى طرح كثير من الأسئلة فى هذه السن ، ومن واجبنا أن نجيب على كل سؤال مهما بدا غريباً أو غير معقول، أو كان السؤال محرجاً ، فالزجر أو النهى عن الكلام ، أو توجيه الاتهام بأن هذا القول «عيب» لا يقنع الطفل ، ولابد من إجابة ، ومن واجبنا أن نضع إجابة مناسبة تراعى اللياقة ، ولا تخالف الحقيقة .

وقد ألح النفسانيون على الخطورة البالغة التى تمثلها هذه المرحلة من عمر الطفل . وعلى هذا الأساس ينبغى أن نتعامل معها ، وأن نراعى خصائصها ونحن « نحكى » له القصص أو نساعده قراءتها إن الخيال الحاد الذى يميز هذه المرحلة ، والقدرة على إسباغ ألوان واقعية على المتخيل والمتوهم ، تستحق أن نفكر فيها ونحن نعد القصص المناسبة ، على أن إشباع الخيال ، وإرضاء قدرة إحلال شىء فى مكان شىء آخر لها محاذير حتى لا نبنى ركناً ونهدم أساساً ، ولا نرضى حاسة ونقتل إحساساً ، إذ لا يناسب